الأنبياء المدفونون في النجف الأشرف

يضيفون قداسة إلى قداسة المدينة

> تحقيق: وليد عبد الأمير علوان
تصوير: أحمد عبد اللطيف الملح

عندما تزور مدينة النجف الأشرف، 180كم جنوب العاصمة بغداد، تنتابك الحيرة في أي من معالمها تبدأه بالزيارة أولا. فأشهر أضرحة المدينة، وهو ضريح الإمام علي بن أبي طالب (ع) ينتصب بقبته الذهبية، ومنائره الشاهقة، وسط المدينة القديمة، وهناك كذلك مراقد للأنبياء والأولياء والصحابة، أشهرها قبور آدم ونوح وهود وصالح (ع). أما مقبرة وادي السلام، أكبر وأقدم مقبرة في العالم الإسلامي، فهي تحتل جزءا هاما من المدينة، ويفد إليها مئات الزوار يوميا، وتستحق الزيارة.

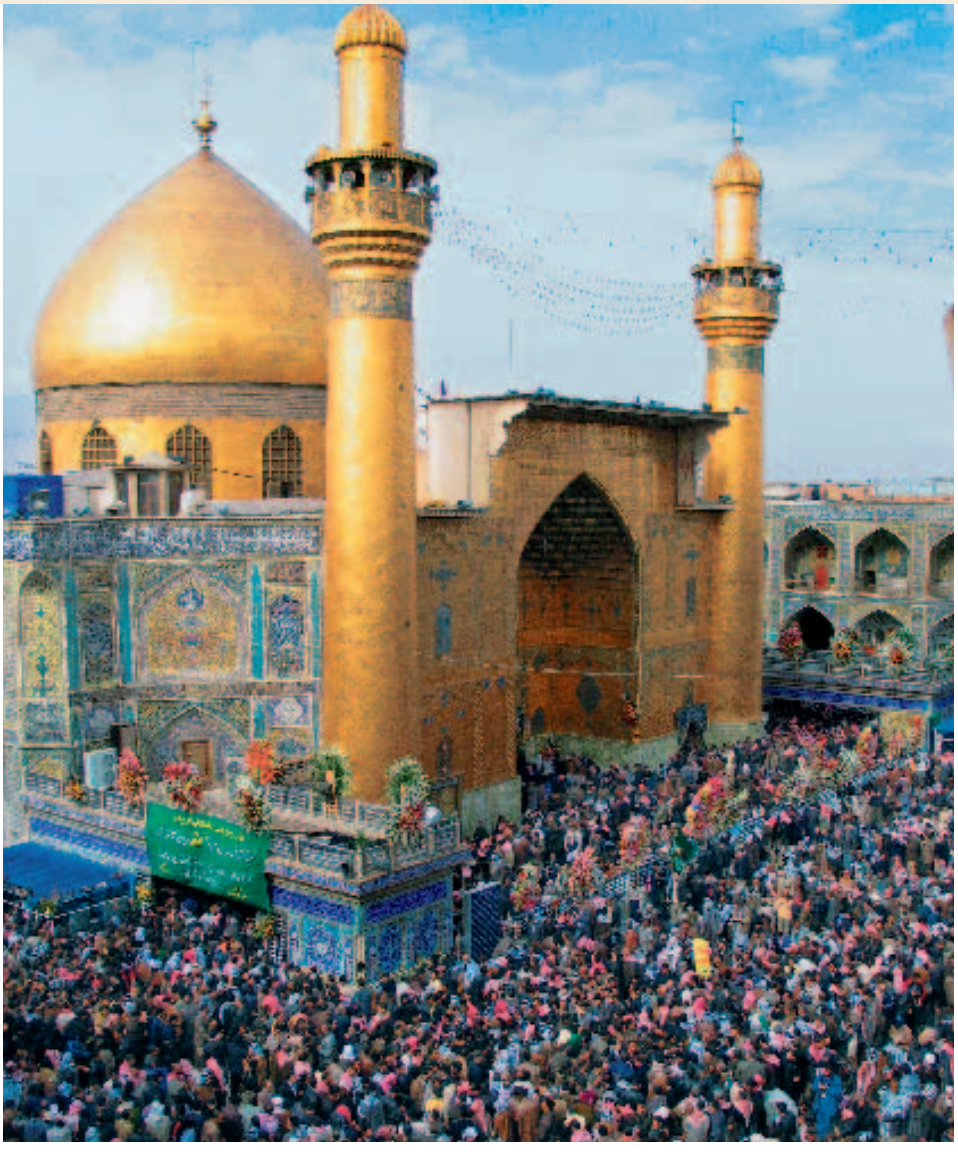

ضريح الإمام علي

Imam Ali Shrine

ل عل مكاتب مراجع الدين الموزعة في المدينة، قد جعلت منها أشبه ما تكون بـ (الفاتيكان)، حيث تشاهد المئات من الزوار يتوجهون نحو أزقة المدينة القديمة، حيث مكاتب علماء الدين هؤلاء، لغرض التبرك باللقاء بهم، وأحياناً للتسليم عليهم فقط، أو للحصول على أجوبة لأسئلتهم الدينية أو على فتاوى شرعية تخص معاملاتهم اليومية.

مكتبات المدينة، والتي يزيد عمر بعضها عن ألف عام كمكتبة الروضة الحيدرية، هي المكان الذي لا يمكن أن يتخطاه الزائر، ناهيك عن

الكاتب أمام مرقدي النبيين هود وصالح

The writer in front of the shrines of Hod and Saleh

طلبة العلوم الدينية، الذين يفدون إليها بالعشرات يوميا، للتقصي والبحث في أمهات المصادر التي تزخر بها المكتبات.

"الطارات"، وهي الأراضي المرتفعة التي شكلت كهوفا، استخدمت من قبل النساك والرهبان في القرن الرابع الميلادي، تحتل موقعا متميزا شمال المدينة، وتفرض على الزائر زيارتها. أما إذا ما وقفت في منطقة (مقام زين العابدين)، فسوف تشاهد بقعة خضراء منخفضة، بعدها مسطحات مائية تسمى بـ(بحر النجف). وأخيرا فإن أسوار المدينة، والتي لم يبق منها إلا جزءا قليلا، فهي معلم حضاري لأهالي المدينة.

آدم ونوح (ع)

أنزل الله تعالى آدم (ع) وزوجته من السماء إلى الأرض، لما عصيا أمر ربهما، وأكلا من الشجرة التي حرم الله ثمرها عليهما. (وَيَا آدَمُ اُسْكُنْ أنت وَزَوجُكَ الجَنَّةَ فَكُلا مِن حَيثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هَذِهِ الشَجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظّالِمِينَ). وقد ذكر بعض المؤرخين أنهما هبطا في الهند، في حين يرى البعض أنهما نزلا في الجزيرة العربية. أما نوح (ع)، فإنه قد بعث إلى قوم أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى، من عمل الفواحش، و عبادة الأوثان، والكفر، وشرب الخمور، وقد ضلوا كثيرا. فأخذهم الطوفان، ونجا نوح (ع) بعد أن لجأ هو والمخلص من أتباعه إلى السفينة التي صنعها بيده. وقد كان من علامات هذا الطوفان فوران التنور. وجاء في بعض المرويات، أن هذا التنور كان بأرض الكوفة، والتي لا تبعد عن مدينة النجف سوى 8كم.

لقد وصف ابن بطوطة، مدينة النجف عند زيارته لها، خلال رحلته الشهيرة (إنها مدينة حسنة، قائمة على أرض فسيحة صلبة، من أحسن مدن العراق، وأكثرها وأمتنها بناءا). كما ذكر بأنه شاهد ثلاثة قبور متجاورة قيل له إن واحدا منها للإمام علي بن أبي طالب والثاني لآدم والثالث لنوح (عليهم السلام).

يقع قبرا آدم ونوح (ع) عند الرأس الشريف للإمام علي (ع). والمرقد الذي يضم هذه الأجساد الطاهرة، محاط من الخارج بخمسة أبواب: الباب الشمالي، ويسمى باب الشيخ الطوسي، والباب الشرقي أو الباب الكبير ويسمى (باب علي بن موسى الرضا)، وباب مسلم بن عقيل، والباب الجنوبي أو باب القبلة، والباب الغربي أو باب الفرج. وهذه الأبواب هي ضمن سور طابوقي يبلغ ارتفاعه حوالي 12م، ويتخلل هذا السور عدد من البنايات، كمسجد الخضراء، والحسينية، ومسجد عمران بن شاهين، والمكتبة.

منظر من أحد الأبواب
A view from one of the gates

رواق في الضريح
Imam Ali Shrine

قبر الإمام علي
Imam Ali Mausoleum

يتكون هذا السور من طابقين، الأرضي والذي يضم عدة أواوين، والطابق العلوي، والذي يحتوي على غرف، كانت تستخدم لدراسة ومبيت طلبة العلوم الدينية. عند اجتياز هذه البوابات، هناك صحن تبلغ مساحته 5000 متر مربع، وأرضية هذا الصحن، مرصوفة بمرمر ذي مواصفات تحافظ على درجة الحرارة بصورة متوازنة، في الصيف والشتاء.

عند اجتياز هذا الصحن تدخل إلى فناء الحرم، (الطارمة)، والذي تبلغ مساحته 300 متر مربع، وترتفع عن أرضية الصحن الشريف بحوالي 40سم، وهي مكسوة بالمرمر الأخضر الجميل. في نهاية الطارمة هناك رواق يحتوي على خمسة أبواب، تطل على الضريح المقدس.

إن هذا الضريح هو على شكل مربع، طول ضلعه 13م، تعلوه قبة تستند على أربع ركائز. يتوسط الحرم ضريح الإمام علي (ع)، ومعه آدم ونوح (ع)، وهو مصنوع من الذهب والفضة، ومزين بأروع النقوش الإسلامية، وبدائع الصور النباتية المنقوشة بالذهب الخالص، يتضمن من الجهة الشرقية و الغربية أربع نوافذ، تفصلها أعمدة مزخرفة، يمكن للزائر من خلالها أن يرى صندوق القبر الشريف داخل الضريح. فوق هذه النوافذ كتيبة من الفضة مطعمة بالمينا، وفوقها كتيبة من الذهب، كتبت عليها آيات من القرآن الكريم، تعلوها كتيبة أخرى من الذهب، مقعرة تحوي نقوشا نباتية، ثم كتيبة ثالثة ذهبية نقشت عليها أحاديث نبوية، وفوق كل هذا تاج ذهبي يتكون من 104 وردة ذهبية، نقشت عليها أسماء الله الحسنى.

يمتاز الضريح العلوي المقدس، بطراز هندسي مصمم بشكل دقيق، حيث أن هندسة البناء شكلا، تشير إلى أنه في حالة وصول ظل الشمس إلى منطقة معينة من الصحن، فإن وقت الظهر يكون قد حل، إضافة إلى أن شروق الشمس، صيفا وشتاءا، يكون على الضريح المقدس مباشرة.

مرقد هود وصالح (ع)

أرسل النبي هود (ع) إلى قوم عاد، الذين كانوا يقطنون شرق اليمن، وكانوا يمتازون بطول القامة، حيث دعاهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ونبذ ماوجدوا عليه آباءهم، وإلا فان العذاب سوف ينزل عليهم، إلا أنهم كذبوه واستهزؤوا به، بل إنهم اتهموه بالجنون، لما كان يعدهم بالعذاب الذي سوف يلحق بهم، عندها أنزل الله عليهم ريحا عاتية لمدة سبع ليال وثمانية أيام، حيث لم تبق ولم تذر وأبادتهم جميعا، إلا من آمن منهم بدعوته.

أما النبي صالح (عليه السلام) فإنه قد أرسل إلى قوم ثمود، حيث كانوا يقطنون في منطقة الحجر بين الحجاز والشام، فنهاهم عن عبادة الأوثان، ودعاهم إلى الإيمان بالله الواحد القهار، إلا أنهم لم يستجيبوا له، بل إنهم تطاولوا عليه وعقروا ناقته، فانزل الله غضبه عليهم، وأهلكهم جميعا.

منظر ليلي للضريح

A night view of the shrine

ضريح الإمام علي

Imam Ali Shrine

يقع مرقدا هود وصالح (عليهما السلام) في مقبرة المدينة، ولا يبعد عن مرقد الإمام علي أكثر من 600م. وتسمى هذه المقبرة بـ(وادي السلام)، وتعتبر واحدة من أكبر وأقدم المقابر في العالم، وقد جاء في تاريخ المرقد، أن أول من قام بوضع صندوق خشبي على قبرهما، هو السيد محمد مهدي بحر العلوم، ثم توالت العمارة بعد ذلك.

لقد كانت على المرقد صخرة سوداء قديمة، مكتوبة بالخط الكوفي ذكر فيها بأن هذا المرقد هو مرقد هود وصالح، وقد بنيت داخل البناء في واجهة المرقد، لكي لا تسرق، وعند محاصرة القوات البريطانية لمدينة النجف عام 1918م، هدموا قبر النبي هود وصالح، وقيل إنها قد سرقت وهربت إلى خارج العراق، ومنذ ذلك الحين لم يعثر على هذه الصخرة.

لقد قام الهنود من طائفة (البهرة) الإسماعيلية ببناء المرقد في شكله الحالي في عام 1986م، وكان آخر تحديث للمرقد هو ما تم في العام 2005، حيث تبرع أحد الكويتيين بإعادة ترميم وتطوير المرقد.

المرقد على شكل مستطيل، له باب دخول خشبي واحد، يقع في الجهة اليمنى من واجهة المرقد الخارجي، في أعلاه مشبك حديدي صغير، وفي أعلى هذا المشبك هناك لوحة مكتوب عليها مرقد النبيين هود وصالح.

جوانب الباب مغلفة بالقاشاني، وبزخارف جميلة، وواجهة المرقد مغلفة بالمرمر وفي أعلاها هناك شريط من القاشاني أيضا مزين بآيات قرآنية، في أعلى المرقد ومن جهة اليسار، هناك قبة مغلفة بنفس الكاشي، وفي أعلاها مكتوب وعلى لوح حديدي إسم الجلالة (الله).

عند اجتيازك باب الدخول، هناك صحن صغير، وفي الجهة اليسرى من الصحن هناك غرفة صغيرة يتوسطها القبر، يوجد في أعلى القبر صندوق خشبي يعلوه شباك من الفضة، وهناك قرب القبر فسحة صغيرة، يؤدي فيها الزوار صلاة الزيارة، وفي الجانب الأيسر من هذه الغرفة غرفة صغيرة تسمى بـ (حرم النساء) مخصص للنساء، وهناك مكان للوضوء يوجد خارج المرقد ويلاصقه من الجهة اليمنى.

لعل ما حباه الله لهذه المدينة من أماكن مقدسة، ومعالم سياحية إسلامية، قد لا تجد له مثيلا، في أية بقعة من بقاع العالم الإسلامي، إلا أنها اجتمعت في مدينة واحدة هي مدينة النجف الأشرف ولذلك لا عجب إن تم اختيارها مدينة الثقافة الإسلامية للعام 2012. ■

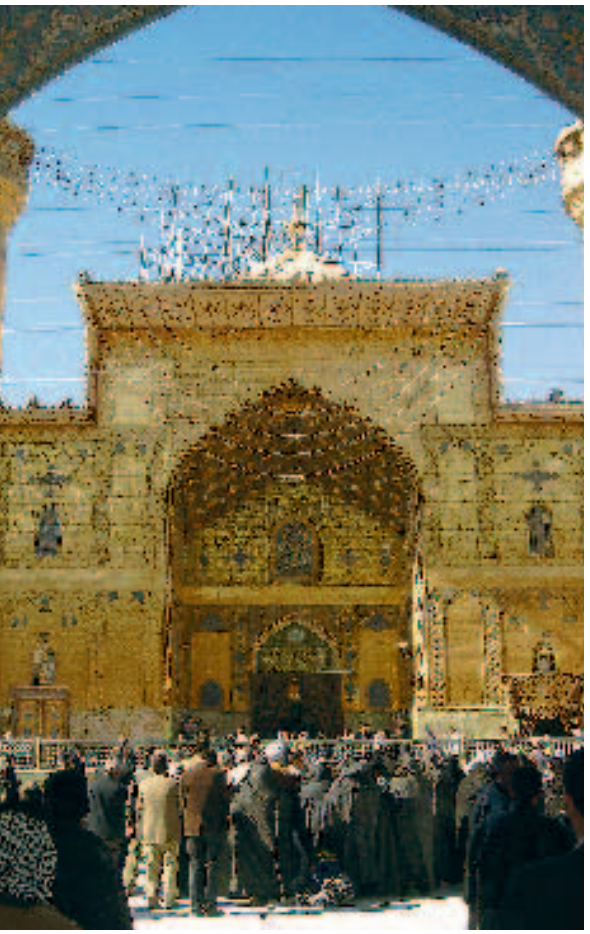

منظر من أحد الأبواب A view from one of the gates

باب المرقد The gate of the mausoleum

باب في الرواق Imam Ali Shrine